الصحة أم الاقتصاد؟ أم الاثنين معا؟

نشرت بتاريخ 2020/4/30

المعضلة التي تحاول معظم الحكومات التخلص منها وإلقاء عبئها على كاهلنا هي "الصحة أم الاقتصاد؟". بعضها، بما في ذلك في فلسطين، يفعل ذلك لتبرير إغلاق المحلات التجارية وشل الاقتصاد بحجة حماية الصحة من تغوّل جائحة كورونا وفتكها بالمزيد من الضحايا، والبعض الآخر يفعل ذلك لتبرير الأعداد المتزايدة من ضحايا كورونا، والذين قد يموت أكثر منهم بسبب انهيار الاقتصاد.

المقايضة بين الصحة والاقتصاد مرفوضة. نحن نريد الاثنين، الصحة والاقتصاد، وليس الصحة أو الاقتصاد. وليس من المفروض أن يكون هناك تناقض بين الاثنين، فالصحة الجيدة ضرورة للاقتصاد باعتبارها جزء من رأس المال البشري الذي يسهم في تطوير وإنعاش الاقتصاد في جميع قطاعاته، والاقتصاد القوي ضروري للصحة لأنه يوفر الموارد اللازمة لبناء نظام صحي جيد وفعال، إذا تم توجيه تلك الموارد بشكل سليم. وهذه الـ "إذا" مهمة، فقد كشفت الجائحة، من بين ما كشفت من عورات، عن فشل الأنظمة الصحية في كثير من الدول، سواء تلك التي أنفقت على تلك الأنظمة الصحية بسخاء أو تلك التي لم تخصص الموارد الكافية للنظام الصحي، وربما كانت فلسطين واحدة من هذه الدول الأخيرة. فعندما يستحوذ الإنفاق على القطاع الصحي من موازنة السلطة الوطنية حوالي نصف ما يستحوذه الإنفاق على الأمن، فإن ذلك يعتبر مؤشرا على خلل في تخصيص الموارد تمت الإشارة إليه في أكثر من ندوة أو دراسة، وجاء وباء الكورونا ليبرز خطورة هذا الأمر. وقد حاولت الحكومة الفلسطينية اتخاذ إجراءات حاسمة وسريعة منذ البداية لاحتواء جائحة كورونا قبل أن تخرج عن السيطرة في ظل نظام صحي غير جاهز. وقد نجحت الحكومة في السيطرة على الوباء، ولكن ذلك كان على حساب تراجع الأداء الاقتصادي، وهذا أمر طبيعي. ولكن لا يمكن الاستمرار في إغلاق الاقتصاد بحجة حماية الأرواح ووضع الناس أمام معضلة الصحة أم الاقتصاد مرة أخرى.

الصحة مطلوبة، والاقتصاد أيضا مطلوب. الاثنين معا وليس واحدة أو أخرى. ما هو مطلوب أن نحافظ على الصحة بدون أن ندمر الاقتصاد، وأن نحافظ على الاقتصاد بدون أن تتعرض الصحة للخطر. جميع المؤشرات تشير إلى فيروس كورونا لن ينحسر قريبا وقد يستمر سنة أو سنوات، وعلينا أن نتعايش مع هذا الوباء خلال تلك الفترة، وأن نعود للعمل والإنتاج مع المحافظة على الإجراءات الوقائية اللازمة. علينا أن نبدأ، إن لم نكن قد بدأنا بالفعل، بتطوير وسائل مبتكرة للعمل، وأنظمة مناسبة للتواصل، وأساليب تكنولوجية متطورة وحديثة تتناسب مع متطلبات السلامة. علينا القيام بحملات توعية للكبار والصغار وتقديم الحلول لهم. هناك الكثير مما يمكن عمله للمحافظة على الصحة والاقتصاد في نفس الوقت، بدلا من التضحية بالاقتصاد إلى أن يصبح اللقاح ضد فيروس كورونا متاحا، أو التضحية بالصحة ومخاطر الإصابة بالفيروس في سبيل توفير لقمة العيش.